وجارات يتلقفن الاخبار في فضول وهمس . وصف ساخر لهذا الجو الحريمي العتيق . وسميرة موهوبة في السخرية والتهكم ، مما يوحي بأنها متأثرة بأسلوب برنارد شو الذي قرأت له كثيرا دون ريب .

وفي حوار ذكي طريف بين فتاة شابة وخطيبها ، أعطته عنوان « القارة البكر » تحلل الكاتبة نفسية الرجل الشرقي وتحصي متطلباته في الفتاة التي يريد ان يتزوجها ، واول هذه المتطلبات الا تكون قد عرفت رجلا قبله « لئلا تحرمه من شعور كولومبس » . ويصف الفتاة بالجراة المتناهية لانها حكت له عن مشاعر سابقة حملتها لشاب قبل سبع سنوات . وعندما يثور ويسألها عما دفع بها الى هذا الاعلان تجيبه بقولها : « لا أدري ، كان يتآكلني الغيظ احيانا حين أسمعك تتحدث الي عن تجارب الحياة وقد اخذك الزهو وكأنما أنت تحادث انسانة لا حق لها في ان تمارس تجربة ، وان تذوق انتصارات الحياة وانكساراتها ، انسانة لم تولد الا منذ عرفتها » . وتجري الكاتبة على لسان الفتاة الاسباب التي تجعلها تبحث عن أي زوج او تقبل خطبة غير مقنعة : « امي ، أبي ، اخوتي ، شعوري بالضعف ، اسئلة الناس لي لماذا لم تتزوجي بعد .. الحاح اهلي علي في ان افعل .. لقد بت أشعر بأنهم يضيقون بي .. » .

وقصة « أطفال الاخرين » تروي ظروفا دقيقة حساسة في حياة زوجين شابين لا ينجبان ، يطل بيتهما على روضة أطفال ، وهي مليئة بالعواطف الغزيرة التي تغدقها الزوجة على اطفال المدرسة حين تطل عليهم من نافذتها اكثر من مرة في اليوم ، تلك النافذة التي بدأت تضايق الزوج حين صارحه طبيبه بأنه هو الذي لا ينجب ، ولكن « شهادة الطبيب فيه لا يمكن ان تبدل حقيقة احساسه فيما بينه وبين نفسه على الاقل .. ان هؤلاء الصغار يعطونه الفرصة لان يحب .. » والاطباء يتركون شيئا للعلاج وشيئا للامل ، ليظل للحياة ما تستحق ان تعاش من أجله ، فلتظل النافذة مفتوحة للصغار ، وليظل الامل نبراسا ينير الظلمة الحالكة . وتتميز القصة بالتحليل النفسي الدقيق لكل من الزوجة المرحة المتفائلة والزوج الحساس المتشائم ، والكبرياء الخاص بكل منهما . .

لكن نهايات قصص سميرة عزام ليست كلها مشرقة متفائلة كالقصة السابقة ، وقد لمسنا بعض الخواتيم الدرامية في قصص فائتة ، ونلمس ذلك أكثر فأكثر في قصة من مثل « الساعة والانسان » التي توحي بأنها قصة واقعية من ذكريات بعض اهلها او معارفها في الوطن . وعقدة القصة تدور حول « فؤاد » موظف السكة الحديد الذي بلغ المحطة متأخرا ، وكان القطار قد أخذ بالتحرك ، فتعلق بباب العربة محاولا الصعود ، ولكن يده خذلته فأفلت الحاجز وسقط تحت العجلات ، ومن يومها ووالده الكهل يدور على بيوت القرية يوقظ الموظفين قبل الفجر حتى لا يلاقوا المصير نفسه . ولكن الولد نفسه يموت نتيجة برد اصابه وهو يلهث راكضا في الصباح الباكر تحت المطر المنهمر . ان عنوان القصة نفسه يحمل من السخرية المرة ما يفجع ، هذه الالة الدقيقة التي اخترعها الانسان لتضبط له أوقاته وتنظم حياته تكون هي السبب في مماته ! ولكن الشاعر العربي قديما قال : « تعددت الاسباب والموت واحد » . وهذا القول المشهور اوحى للكاتبة بأن تزودنا ببعض الاسباب الجديدة للموت في القصة التالية لسابقتها ، فأحمد ، شاب طموح كان يعمل صبيا عند البقال ، وانتقل الى ورشة اصلاحات ميكانيكية ، ثم ساقه طموحه الى المانيا حيث تعلم هندسة التليفزيون وتركيب الهوائي واصلاح الاجهزة ، وتزوج وانجب ، ولكن القدر كان له بالمرصاد ، ونقلت الشاشة الصغيرة صورته وهو يسقط من فوق سطح احدى العمارات الشاهقة .. « كومة رابضة تمثل قصة الطموح في فصلها الختامي » .

ليست القصتان السابقتان الوحيدتين اللتين تحدثنا عن الموت في مجموعات سميرة